دراسة منهجية
لسنن النسائي وابن ماجه

almodhe1405@hotmail.com
almodhe@yahoo

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين

أما بعد..

هذا هو الأسبوع الثالث في هذه الدورة العلمية التي أسأل الله عز وجل أن ينفعنا بها جميعًا وأن تكون في موازين حسناتنا جميعًا، ولقاؤنا في هذا الأسبوع سوف يكون بإذن الله تعالى عن إمامين جليلين من أعلام أئمة الإسلام وكتابيها اللذين اشتهرا بهما.

هذان الإمامان هما: الإمام النسائي عليه رحمة الله، والإمام ابن ماجه عليه رحمة الله.

وكتاباهما: هما السنن المشهورة بالسنن الصغرى، والكبرى للنسائي، والسنن للإمام ابن ماجه.

تفضيلة الشيخ
د.الشريف حاتم بن عارف العوني
فُرغت الأشرطة بإذن من الشيخ
نشرها
أبو مهند النجدي

ونبدأ بالإمام النسائي عليه رحمة الله على الترتيب المعهود لكتب السنة :
البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .
وقد أخذتم في الأسابيع الماضية الأئمة الأربعة الذين سبقوا النسائي في هذا الترتيب.
فنبدأ بترجمة لهذا الإمام عليه رحمة الله ثم ندخل في بيان منهج هذا الإمام في كتابيه السنن الصغرى، والسنن الكبرى، والحديث عن أهم ملامح شروط هذا الإمام في هذين الكتابين.
فالإمام النسائي هو : أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار النسائي الخرساني.
و **" نسا "** : التي يُنسب إليها مدينة بخرسان، خرسان مقاطعة كبيرة يقع أغلبها اليوم في جمهورية إيران، وجزء منها أيضًا في أفغانستان، و " نسا " مدينة في هذه المقاطعة، وهي غير ممدودة، نسا، لا تقل: نساء، وبفتح النون لا تقل: نساء .
النسبة إليها على القياس: نسوي ، الأصل أن ينسب إليها على قياس اللغة العربية بـ " نسوي " ، والإمام النسائي يقال له النسوي أيضًا ، ولكن نسبته النسائي هذه على غير قياس ، سُمعت من الأئمة والعرب فتلقيت عنه، فيصح أن تقول عن الإمام النسائي: النسائي، ويصح أن تقول أيضًا: النسوي، وقد اشتهر بكلا النسبتين .
كنية هذا الإمام - كما هو مشهور- : أبو عبد الرحمن .
وُلد هذا الإمام : في بلده نسا سنة خمس عشرة ومائتين من الهجرة تقريبًا ، حيث حدد هو نفسه هذه السنة، لكنه حددها بالتقريب؛ قال: يُشبه أن يكون مولدي سنة خمس عشرة ومائتين من الهجرة.
ويشتهر هذا الإمام أيضًا بالنسبة إلى أحد وظائفه الدينية وهي القضاء، فيقال له القاضي الإمام أبو عبد الرحمن القاضي ؛ حيث تولى قضاء في أكثر من مدينة إسلامية منها مصر ، ومنها أيضًا حمص في بلاد الشام ، وسوف نستفيد من توليه القضاء فائدة يأتي إن شاء الله ذكرها .
وكما تعرفون أن الرحلة في طلب علم الحديث سنة من سنن المحدثين بل هي سنة من سنن النبي عليه الصلاة والسلام؛ حيث أقرها ورضي عنها كما تعرفون في حديث ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر الذي وفد على النبي عليه الصلاة والسلام من بني سعد إلى المدينة ليسأله عن شرائع الدين ، الحديث الذي في الصحيحين

فاحتج أهل الحديث بهذا الحديث - حديث ضمام بن ثعلبة - على مشروعية واستحباب الرحلة في طلب العلم، وهذه السنة التي أقرها النبي عليه الصلاة والسلام أحياها وأكثر من عمل بها هم المحدثون عليهم رحمة الله، وكانت الرحلة في طلب العلم سمة المحدثين في العصور الغابرة، فلا تجد عالمًا من علماء الإسلام إلا وقد جاب بلدان الإسلام شرقها وغربها، وهي بلدان واسعة خاصة في تلك الفترة في طلب العلم وطلب الحديث، فلم يكن من المعقول أن يفوت هذا الإمام الجبل هذه السنة، بل بداية رحلته وزمن هذه البداية تدل على نهم شديد في طلب العلم، وعلى أنه كان عنده رغبة شديدة في طلب الحديث والرحلة فيه وطلب العلم؛ حيث رحل وله من العمر خمس عشرة سنة فقط، رحل عن بلده نسا، فلم يدخلها حتى مات، مات كما يأتي إن شاء الله على خلاف في مكة أو في بلاد الشام، رحلة طويلة جدًا، ومديدة لزمن طويل، لم يرجع بعد هذه الرحلة إلى بلده أبدًا.

فابتدأ هذه فالرحلة : سنة ثلاثين ومائتين من الهجرة، وفي الحقيقة فإن بدايته هذه تدل على أنه نشأ نشأة علمية حيث إن من آداب الرحلة في طلب الحديث التي نص عليها المحدثون أنه لا يحق لأحد أن يرحل في طلب العلم حتى يستوعب حديث أهل بلده ، وحتى يستوعب شيوخ بلده ، فيأخذ عنهم؛ لأنه ليس من الصحيح أن يرحل الإنسان في طلب العلم ، والعلم الذي في بلده لم يتمكن منه ولم يحصل عليه ، فلابد أن الإمام النسائي قد تأدب بهذا الأدب الذي نص عليه المحدثون ، فلم يرحل إلا بعد أن استوعب شيوخ بلده، وحديثهم، وهذا يدل على نبوغ مبكر؛ شاب في بداية شبابه له من العمر خمس عشر سنة يبدأ الرحلة وقد استوعب شيوخ بلده ، فلك أن تتصور كيف قضى بداية عمره وما هي درجة النبوغ والذكاء التي تميز بها هذا الإمام .

فرحل أول ما رحل إلى : بلدان خرسان وعواصم خرسان في ذلك الوقت مرو ونيسابور وغيرها من البلدان ، وسمع بنيسابور من أحد الأئمة الكبار المشهورين جدًا وهو إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المشهور بـ " إسحاق بن رَاهُوْيه " الإمام الجبل الحافظ الفقيه المشهور الذي كان له مذهب فقهي متبع لتقريبًا مائتين سنة في مشرق العالم الإسلامي، وهو أحد كبار الأئمة يُقرن بالإمام أحمد والشافعي في الفقه والعلم، فلزم هذا الإمام مدة في نيسابور ، ثم خرج منها إلى مرو ، وسمع بمرو من كبار المحدثين بها منهم رجل

يقال له علي بن خشرم من شيوخ الأئمة الستة ، وأيضًا من علي بن حجر وهو أيضًا من شيوخ الأئمة الستة وأخذ عنهم العلم والحديث والفقه، ثم خرج إلى بلخ وهي مدينة في أقصى المغرب - مغرب خرسان - مما يلي العراق، فدخل بلخ وأخذ بها عن أحد كبار شيوخه وأجلهم وهو قتيبة بن سعيد، وقد لازم هذا الإمام ما يزيد عن سنة وستة أشهر، أو قرابة سنة وستة أشهر، ويأتي إن شاء الله أن هذا الشيخ وهو قتيبة بن سعيد أكثر شيوخ الإمام النسائي الذين روى عنهم في سننه ، فقد روى عنه كما يأتي إن شاء الله ما يقارب الثمانمائة حديث في كتابه السنن، وهو أكثر شيوخه الذين أخذ عنهم في سننه وفي غيرها من الكتب ، ثم لم يكن من المعقول أن يفوت هذا الإمام دخول عاصمة الخلافة في ذلك الوقت، فدخل بغداد عاصمة الخلافة العباسية فسمع بها من أحد كبار النقاد والمحدثين وهو عباس الدوري الإمام المشهور أحد أكبر الناقلين لعلم الجرح والتعديل عن يحيي بن معين ، فأخذ عن عباس الدوري وعن أحمد بن منيع الإمام المشهور الذي له مسند مشهور وعُمِل له زوائد في هذا المسند، وأيضًا سمع في بغداد من محمد بن إسحاق ، ثم جاب أيضًا بلدان العراق كالبصرة فسمع بها من عباس بن عبد العظيم العنبري ومحمد بن المثنى أبو موسى الزمن وسمع أيضًا من محمد بن بشار الملقب بـ " بندار "، ودخل الكوفة وسمع بها من أبي كريب محمد بن العلاء وهو من عوالي شيوخه، ومن أئمة أو من شيوخ الأئمة الستة أيضًا، وهناد بن السري صاحب كتاب الزهد المطبوع المعروف، ودخل أيضًا بلدان كثيرة منها الجزيرة في شمال العراق ، ودخل الشام وعاصمتها دمشق فسمع من هشام بن عمار ، وعبد الرحمن بن إبراهيم الناقد الملقب بـ " دحيم " ودخل حلب في شمال بلاد الشام وسمع بها من أبي عباس الفضل بن عباس بن إبراهيم ، ودخل طَرَسُوس وهي مدينة في أقصى المغرب - أقصى مغرب شمال بلاد الشام - هي الآن ضمن جمهورية تركيا ، وكانت آخر ثغور المسلمين مما يلي بلاد الروم ، دخلها أيضًا في طلب العلم، ودخل بيت المقدس ، وسمع بها من محمد بن عبد الله الخلنجي ، وحج قبل سنة ثمانٍ وأربعين ومائتين فسمع بمكة من محمد بن جعفر بن أبي الأزهر المكي ، وغيره من مشايخ مكة ثم رحل إلى مصر، فلما رحل إلى مصر تلقى بها بقية علومه ثم استقر بها إلى قُبَيل وفاته ، وسمع بمصر من يونس بن عبد الأعلى، وهو من تلامذة مالك الكبار وأحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن أخي عبد الرحمن بن وهب الإمام

المشهور ، وعيسى بن حماد الملقب بـ " زُغْبَة " ، وعبد الرحمن ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم وهما أيضًا من كبار تلامذة مالك وناشري مذهب مالك في مصر.
ومن الطرائف في ترجمة الإمام النسائي أنه مُتَرجَم في كتب متعددة من كتب تواريخ البلدان المحلية ؛ لأنه دخل بلدان كثيرة من بلدان العالم الإسلامي فلا تكاد تجد تاريخًا من تواريخ البلدان المحلية إلا وقد تُرجم للإمام النسائي فيها، فترجم مثلًا في تاريخ مكة " العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين " للإمام الفاسي - تقي الدين الفاسي ، وتُرجم له في تاريخ دمشق لابن عساكر لأنه دخل دمشق، وترجم له في "بغية الطلب في تاريخ حلب" لابن العديم لأنه دخل حلب كما ذكرنا، وترجم له في " تاريخ نيسابور " للحاكم لأنه دخل نيسابور، وترجم له في " التاريخ المجدد في مدينة السلام " لابن النجار المشهور بذيل تاريخ بغداد لابن النجار لأنه دخل بغداد، ومن العجيب هنا أن الخطيب البغدادي لم يترجم له في " تاريخ بغداد " كأنه نسيه أو غفل عنه فترجم له ابن النجار في ذيله على تاريخ بغداد، وترجم له أيضًا ابن يونس صاحب تاريخ المصريين ، وترجم له ابن تغري بردي في " النجوم الزاهرة في أعيان مصر والقاهرة" لأنه دخل مصر وترجم له أيضًا الإمام الرافعي الشافعي في تاريخ قزوين "التدوين في أخبار قزوين " ؛ لأنه دخل أيضًا قزوين ، ترجم له في هذه التواريخ كلها ؛ لأنه رَحَّالَة ، ولو وجدنا بقية كتب تواريخ البلدان كتاريخ بلخ وتاريخ خراه ، وتاريخ المدينة وتاريخ كذا لوجدنا له أيضًا ترجمة فيها، لكننا فقدنا كثيرًا من هذه الكتب، ولم يبق منها إلا شيء يسير حتى تاريخ نيسابور للحاكم هو في حكم المفقود، لكن نص العلماء على أنه ترجم له في " تاريخ نيسابور " للحاكم.

من مشاهير شيوخه:

قتيبة بن سعيد - الذي ذكرناه آنفًا - المُتوفى سنة أربعين ومائتين، وإسحاق بن راهويه المتوفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وهشام بن عمار، وعيسى بن حماد، وحسين بن منصور السلمي النيسابوري، وعمرو بن زرارة النيسابوري، ومحمد بن نضر المروزي، وسويد بن نصر المروزي.
هؤلاء هم أشهر شيوخ هذا الإمام أو أعلاهم سندًا.

أما الذين تَخَرَّج بهم في علم الحديث :

في النقد في الجرح والتعديل في معرفة علل الأحاديث فهم كبار الأئمة في ذلك العصر المشهورين بهذا العلم ومنهم :

الإمام البخاري : الإمام النسائي ممن أخذ عن الإمام البخاري على الصحيح ، وإلا فقد وقع خلاف هل النسائي ممن روى عن البخاري أو لا، لكن الراجح أنه روى عنه لأنه صرح باسمه في غير موطن من كتبه ، فمن شيوخ النسائي في النقد والجرح والتعديل ومعرفة العلل الإمام البخاري ، ويكفي النسائي فخرًا أنه تلقى هذه العلوم عن الإمام البخاري .

وأيضًا من شيوخه قرين البخاري " **محمد بن يحيي الذهلي** " فقد أخذ عنه أيضًا علم النقد والجرح والتعديل، والزهني كان من كبار أئمة النقد .

وأيضًا من شيوخه : " **أبو حاتم الرازي** " ، و " **أبو زرعة الرازي** " وكلاهما معروفان مشهوران بالجرح والتعديل، وبعلم علل الحديث .

وأيضًا : " **ابن رَاهُوْيَه** " الإمام الذي ذكرناه آنفًا .

و" **الفلاس** " وهو من كبار أئمة البصرة وكان يُقرن بـعلي بن المديني وهو قرينه في السن والعلم ، وأيضًا أخذ عن " **أبي داود السجستاني** " صاحب السنن .

أما الذين تَخَرَّج بهم في الرواية - يعني أكثر أخذ الحديث عنهم جدًا - **فهم :**

قتيبة بن سعيد : فقد روى عنه في سننه ما يزيد على سبع وسبعين وستمائة حديث.

ابن رَاهُوْيَه : وقد روى عنه في سننه تسع وأربعين وثلاثمائة حديث.

الفلاس : وقد روى عنه في سننه اثنتين وتسعين ومائتي رواية .

سويد بن نصر : وقد روى عنه في سننه تسعًا ومائتي رواية .

محمد بن المثنى : وقد روى عنه ثلاثًا وتسعين ومائة رواية.

بندار محمد بن بشار : وقد روى عنه ستًا وثمانين ومائة رواية.

محمد بن عبد الأعلى الصنعاني : وقد روى عنه إحدى وستين ومائة رواية.

هؤلاء هم الشيوخ الذين أكثر عنهم في سننه، وليس هناك شيخ للنسائي روى عنه أكثر من هؤلاء، هم أكثر من روى عنهم في كتابه السنن.

ولم يقتصر أخذ هذا الإمام على علم الحديث، فقد أخذ أيضًا علم القراءات .

ومن شيوخه في القراءات:
أحمد بن نصر النيسابور ، وصالح بن زياد السوسي أبو شعيب، وقد ذكر ابن الجزري النسائي في طبقات القراء، وهذه أيضًا شهادة لهذا الإمام بأنه من كبار القراء في عصره ، فقد ترجم له ابن الجزري في " غاية النهاية في طبقات القراء " واعتبره من كبار أئمة القراء.
وأيضًا من علوم هذا الإمام التي تحلى بها علم الفقه، ومعرفة الأحكام والقدرة على الاستنباط والاجتهاد، وقد أخذ عن أئمة الفقه في ذلك العصر فأخذ من أصحاب الشافعي عن يونس بن عبد الأعلى من أصحاب الشافعي ومالك ، والربيع بن سليمان المرادي ، والربيع بن سليمان الجيزي ، وهما من تلامذة الشافعي المشهورين ، ومن نقلة مذهب الشافعي المشهورين، وأخذ أيضًا من أصحاب الإمام أحمد كعبد الله بن الإمام أحمد المشهور الفقيه المحدث.
وأخذ أيضًا عن الميموني أحد كبار تلامذة الإمام أحمد، وفقهاء أصحابه .
وأخذ أيضًا عن أصحاب الإمام مالك إمام دار الهجرة من أمثال محمد ويحيي ابني عبد الله بن عبد الحكم المصريين .
وأخذ أيضًا عن إسحاق بن راهويه السابق ذكره وهو من الأئمة المجتهدين الذين لا يتبعون إمامًا معينًا لاكتمال أدوات الاجتهاد فيهم .
وأيضًا من عجائب أو طرائف ترجمة هذا الإمام : أنه ترجم في طبقات الشافعية، معدود في فقهاء الشافعية، وليس هناك دليل على أنه شافعي المذهب ، إلا أنه ألَّف منسكًا للحج ، مناسك الحج على مذهب الشافعي ، له منسك في الحج على مذهب الشافعي فاستدل بذلك بعض العلماء على أنه شافعي فترجم في طبقات الشافعية كطبقات الشافعية للأسنوي، وطبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي، وغيرهما من طبقات الشافعية.
وعدد من عرفناه من شيوخه - لا أقول كل شيوخه - لأن عدد شيوخه لا يستطيع أن يحصرهم أحد؛ رجل جاب بلدان العالم الإسلامي في فترة كان البلد الواحد يعج فيها بألوف العلماء لكن الذين عرفناهم من شيوخه هم خمسون وأربعمائة شيخ، أربعمائة وخمسين شيخ معروفين بأسمائهم منهم :
أربعة وثلاثين وثلاثمائة روى عنهم في السنن، ثلاثمائة وأربعة وثلاثين روى عنهم في كتابه السنن ، ومائة وأربعة عشر خارج السنن ، أربعة عشر ومائة شيخ في خارج السنن ، واثنان في الكبرى، يعني زيادة

على من سبق يوجد اثنان من الشيوخ لم يرو عنهم إلا في كتابه السنن فيكون المجموع خمسمائة وأربعين شيخ .
وقد صنف النسائي نفسه معجمًا لشيوخه وهو من أقدم من ألف معجمًا للشيوخ يعني يسمي فيه شيوخه الذين أخذ منهم ، ويذكر فيه أحكامهم في الجرح والتعديل لكنَّ هذا الكتاب من كتبه المفقودة كما يأتي إن شاء الله عند ذكر بعض كتبه، غير أن الحافظ بن حجر أكثر النقل عنه في كتابه التهذيب فإنه كثيرًا ما يقول قال النسائي في معجم شيوخه عن فلان كذا وعن فلان كذا ، يذكر أقواله في الجرح والتعديل .
أيضًا أَلَّفَ عبد الله بن محمد بن أسد الجهني أحد رواة السنن عن حمزة الكناني ألف كتابًا سماه تسمية شيوخ النسائي، وألف أيضًا في حصر شيوخ النسائي أبو علي الغساني الجياني، وألف أيضًا في تسمية شيوخ النسائي وفي حصرهم ابن خلفون أحد فقهاء المحدثين المالكية.
وجمع شيوخه مع شيوخ الأئمة الستة ابن عساكر في كتابه " المعجم المشتمل على أسماء شيوخ الأئمة النبل " جمع فيه شيوخ النسائي مع شيوخ غيره من أئمة الكتب الستة.
أما تلامذة هذا الإمام فهم كثيرون جدًا، ذكر منهم المزي ثمانية وخمسين تلميذًا هؤلاء الذين عرفناهم أيضًا وإلا تلامذته أكثر من هذا العدد بكثير .
وأما السخاوي فَعَد منهم خمسًا وستين تلميذًا .
من مشاهير تلامذته :
الأئمة الذين تتلمذوا عليه وأصبحوا بعد ذلك أئمة مشهورين :
" **ابن السني** " صاحب عمل اليوم والليلة، وصاحب كتب كثيرة جدًا، ابن السني من الحفاظ الكبار ومن تلامذة النسائي :
وأبو جعفر بن النحاس صاحب كتاب " الناسخ والمنسوخ " وغيرها من الكتب .
وأبو جعفر الطحاوي الإمام الحاكم المحدث المشهور صاحب شرح معاني الآثار وبيان مشكل أحاديث رسول الله وغيرها من الكتب.
وابن الأعرابي صاحب " المعجم " و " صفة الزاهدين " وغيرها من الكتب.
وأبو علي النيسابوري وهو من كبار حفاظ نيسابور.

وحمزة الكناني، و **الطبراني** الإمام المؤلف صاحب المعاجم الثلاثة.
وابن عدي صاحب " الكامل في الضعفاء " - في ضعفاء الرجال -.
والدولابي صاحب الكنى والأسماء.
والعقيلي صاحب كتاب " الضعفاء الكبير" .
وأبو عوانة صاحب المستخرج على صحيح مسلم .
هؤلاء بعض تلامذته المشهورين الأئمة، وأنت إذا نظرت إلى هذه الأسماء عرفت كيف تخرج على يدي هذا الإمام أئمة كبار جدًا أثروا في علم الحديث وكان لهم أثر طيب مبارك فيه على مدى العصور الإسلامية.
أما رواة السنن عنه : فهم كثيرون أيضًا يزيدون على العشرين راوي، إلا أن أشهرهم أحمد بن محمد بن إسحاق بن السني - المذكور آنفًا - وأبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي التمام.
وأبو بكر أحمد بن محمد بن المهندس.
وأبو علي الحسن بن الخضر السيوطي.
وأبو محمد الحسن بن رشيق العسكري.
وأبو قاسم حمزة بن محمد الكناني.
وابن النسائي أبو القاسم عبد الكريم .
وعلي بن أبي جعفر الطحاوي ابن الإمام أبو جعفر الطحاوي .
ومحمد بن عبد الله بن زكريا بن حيويه النيسابوري .
ومحمد بن القاسم بن محمد بن سيارة القرطبي الأندلسي .
وأبو بكر محمد بن معاوية المشهور بابن الأحمر.
هؤلاء هم أشهر رواة السنن عنه، وآخر من روى عنه سماعًا الأبيض الفهري أحد رواة الحديث تُوفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة من الهجرة .
لما استقر هذا الإمام بنيسابور وكثر الآخذون عنه ونشر مؤلفاته ومصنفاته وعلومه في مصر لما استقر في مصر، وانتشر عنه العم فيها وتتلمذ عليه الأئمة الكثيرون الذين سبق ذكر بعضهم.
اشتهر علم هذا الإمام وبلغ سمعته مشارق الأرض ومغاربها، فأثنى عليه كبار الأئمة في عصره وبعد عصره الثناء البالغ، حتى وصفه كبار الفقهاء والمحدثين في عصره بأنه إمام من أئمة المسلمين كمنصور بن إسماعيل الفقيه ، وأبو جعفر الطحاوي وأبي علي النيسابوري ،

وقاسم بن زكريا المطرف فقد وصفوه جميعًا بأنه إمام من أئمة المسلمين .
وقال عنه الحاكم : هو إمام عصره ، فجعله إمام الفترة التي كان يعيش فيها .
وقال أبو القاسم مأمون المصري الحافظ: خرجنا مع أبي عبد الرحمن إلى طرسوس سنة الفداء فاجتمع جماعة من مشايخ الإسلام، واجتمع من الحفاظ عبد الله بن أحمد ومحمد بن إبراهيم المشهور بـ " مربع " ، وأبو الآذان عمر بن إبراهيم، كيلجة محمد بن صالح بن عبد الرحمن وغيره، فتشاوروا فيمن ينتقي لهم على الشيوخ فأجمعوا على النسائي، فكتبوا كلهم بانتخابه، تذكر هذه القصة في مجال بيان جلالة هذا الإمام .
ووجه دلالته على ذلك : أن النسائي لما اجتمع من كبار المحدثين في عصره ومنهم: عبد الله بن الإمام أحمد ، بل هو من شيوخه، ومع كيلجة أو كِيلجة بكسر الكاف، ومربع، وأبو الآذان وهم من كبار تلامذة يحيى بن معين وكبار الحفاظ والنقاد، اجتمع النسائي معهم في طرسوس التي ذكرناها لكم آنفًا وأرادوا أن يختاروا رجلًا منهم ينتخب عليهم أو ينتخب من أحاديث شيوخ الشيوخ الموجودة في طرسوس أحاديث معينة، ونشرط الانتخاب أن ينتخب المنتخب غرائب الأحاديث التي لا يكثر دورانها بين الناس وبين رواة الأحاديث، ولا يستطيع أن يقف على الأحاديث الغريبة التي يقل دورانها بين الناس إلا الحافظ المطلع على السنة حتى يعرف ما هو الحديث الغريب من الحديث المشهور، أما الذي سبره قليل في السنة لا يستطيع أن يميز فرضي هؤلاء الحفاظ الكبار الذين هم في مرتبة شيوخ النسائي رضوا بالنسائي أن يكون إمامهم في هذه المسألة ، هذا يدل على جلالة هذا الإمام وعلى أنه ربما فاق بعض شيوخه في العلم ، بل هو يفوق هؤلاء كلهم في العلم في علم الحديث ، حتى قال الدارقطني: هو مقدم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره، والدارقطني الدارقطني !!في الإمامة والجلالة وقوة أحكامه في الجرح والتعديل وفي غيرها.
وقال الدارقطني وقد سُئل إذا حدَّث النسائي وابن خزيمة بحديث أيهما تقدم النسائي وابن خزيمة الإمام المشهور صاحب الصحيح ، فقال: النسائي ؛ فإنه لم يكن مثله ولا أقدم عليه أحدًا أبدًا ، هذه عبارة الدارقطني في النسائي.

وقال الدارقطني : هو أفقه مشايخ مصر في عصره مع أنه كان في عصره كبار الفقهاء ، منهم أبو جعفر الطحاوي وغيره من كبار الفقهاء، فيقول: هو أفقه مشايخ مصر في عصره، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار وأعلمهم بالرجال فلما بلغ هذا المبلغ حسدوه .
وهذه سنة الله في أرضه، ما على رجل وارتفع إلا حسده الناس، ونالوا من عرضه ومن علمه ، وهي سنة العلماء أيضًا فإن العلماء جميعًا قد حسدوا وابتلوا وأذوا وامتحنوا وهذا النسائي واحد منهم، وسيأتي إن شاء الله أنه قتل شهيدًا عليه رحمة الله .
وقال الإمام الذهبي - والإمام الذهبي كما تعرفون إمام تأخر في عصره، واستوعب تراجم العلماء وأخبارهم في كتبه الكثيرة في تواريخ الرواة، ويضرب به المثل في الاستقراء ومعرفة الرواة وأئمة الحديث، فانتبه لهذه العبارة التي يقولها والحكم الذي يقوله، الذي له وزنه الكبير جدًا - يقول: لم يكن على رأس ثلاثمائة أحفظ من النسائي أبدًا ، وهو أحذق بالحديث وعلله ورجاله من مسلم ومن الترمذي ومن أبي داود، وهو جارٍ في مضمار البخاري ، وأبي زرعة .
يعني : يقدمه في العلم على الإمام مسلم وعلى أبي داود ، وعلى الترمذي ، ويجعله في مصاف البخاري وأبي زرعة الرازي .
ووافقه على ذلك أيضًا تقي الدين السبكي فقد سَأَلَ ابن السبكي الإمام الذهبي عن من يقدم : الإمام مسلم أو النسائي ، فقدم الذهبي النسائي فأخبر ابن السبكي أباه تقي الدين السبكي عبد الوهاب بن عبد الكافي ، فقال له: صدق النسائي مقدم على مسلم

أما عبادة هذا الإمام : فيقول أحد الحفاظ محمد بن المظفر الحافظ: سمعت مشايخنا بمصر يصفون اجتهاد النسائي بالعبادة بالليل والنهار، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا أفضل الصيام صيام داود عليه السلام، وكان كثير الحج محترزًا عن مجالس السلاطين ، فكان أيضًا يجمع مع هذا العلم عبادة وتأله وصيام وحج وجهاد ورباط على الثغور كما ذكرنا آنفًا أنه خرج إلى طرسوس وهي إحدى ثغور المسلمين في ذلك العصر، وكذلك علماء الإسلام لا تجدهم في باب من الأبواب إلا وهم أئمة فيه في العلم أئمة في العبادة والزهد أئمة ، في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أئمة ، في كل شيء أئمة، لا تقلب صفحة من صفحاتهم إلا وتجد فيها قدوة تستحق أن يؤتسى بها.

وُصف هذا النسائي بشيء فيه غمز له لا بد من ذكره على اختصار وهو التشيع، قيل: إن فيه تشيعًا يسيرًا، إلا أن هذا التشيع نص العلماء على أنه لا يبلغ إلا درجة تفضيل علي بن أبي طالب على أبي بكر وعمر .
وهنا أقف وقفة وقفها قبلي أكثر من واحد من أهل العلم قالوا: إذًا فما هو تشيع النسائي، إذا كان لا يفضل علي بن أبي طالب على أبي بكر وعمر، ما هو تشيعه؟
الصحيح أنه ليس من الشيعة وليس فيه شيء من التشيع ، وممن نص على ذلك ابن عساكر ، والإمام السخاوي وغيرهما ، وقالوا بأن هذه التهمة ليست بصحيحة، ويأتي إن شاء الله سبب وصفه بذلك، وبيان أنه ليس دليلًا كافيًا لوصفه بالتشيع .
مؤلفات هذا الإمام كثيرة جدًا لكن الذي عرفناه منها ما يزيد على الثلاثين كتاب أذكرها مبينًا الذي طبع منها من الذي بقي مخطوطًا ونعرف مكان مخطوطته، فمن أشهر كتبه:

- **السنن الكبرى** وقد طُبع.
- **المجتبى** الذي هو السنن الصغرى وقد طبع أيضًا، وكتاب الضعفاء والمتروكين، وقد طبع.
- كتاب " **الكنى** " وهو كتاب لا نعرف عن وجوده شيئًا.
- كتاب " **أسماء الرواة والتمييز بينهم** " المشهور بكتاب " **التمييز** " وهو كتاب شبه مفقود ينقل عنه الحافظ ابن حجر كثيرًا في "التهذيب" .
- **معجم شيوخه** . وسبق ذكره.
- كتاب " **الطبقات** " .وهو مطبوع.
- كتاب " **معرفة الإخوة والأخوات** " وهو شبه مفقود.
- **مسند حديث مالك بن أنس** وهو شبه مفقود وهو أحد الكتب التي اعتمدها الإمام المزي في استخراج رجال النسائي في كتابه " تهذيب الكمال " .
- **مسند أحاديث الزهري بعلله والكلام عليه** . وهو شبه مفقود .
- **مسند حديث شعبة** . شبه مفقود .
- **مسند حديث سفيان الثوري** . شبه مفقود.

- كتاب **" الإغراب"** ما أغرب فيه شعبة على الثوري ، وما أغرب فيه الثوري على شعبة، ويوجد من هذا الكتاب جزء في مخطوطة في (أسكوريال) في أسبانيا الأندلس .
- **مسند حديث ابن جريج** . شبه مفقود .
- **مسند حديث القطان .** شبه مفقود .
- **مسند حديث الفضيل بن عياض ، وداود الطائي ، ومفضل بن مهلهل .** وهي كلها شبه مفقودة .
- **الجرح والتعديل** . شبه مفقود .
- **مسند علي بن أبي طالب** . شبه مفقود ، وهو أحد مصادر الإمام المزي في كتابه " تهذيب الكمال " .
- **تفسير القرآن** . مطبوع .
- **الجمعة** . مطبوع .
- **خصائص علي** . كتاب مطبوع .
- **مناسك الحج على مذهب الشافعي** . شبه مفقود .
- **تسمية فقهاء الأمصار** . مطبوع .
- **تسمية من لم يرو عنه غير رجل واحد .** مطبوع .
- **جزء من حديثه** . موجود بالظاهرية بدمشق .
- **مجلسان من إملائه** ، برواية الأبيض الفهري . مطبوع .
- **فضائل القرآن** . مطبوع .
- **مسند منصور بن زادان** . شبه مفقود .
- **عمل اليوم والليلة** . مطبوع .
- **شيوخ الزهري** . شبه مفقود .
- **ذكر من حدَّث عنه سعيد بن أبي عروبة ولم يسمع** . منه مطبوع .
- **كتاب المدلسين** . موجود ضمن كتاب سؤالات السلمي للدارقطني ، وضمن كتاب ميزان الاعتدال ذكراه كاملًا .
- **أحسن الأسانيد التي تروى عن رسول الله** ﷺ . مطبوع .
- **تسمية الضعفاء والمتروكين والثقات ممن حمل عنهم العلم من أصحاب أبي حنيفة** . وهو مطبوع.

صورة هذا الإمام وحليته، هيئته، شكله :

كان شيخًا مهيبًا مليح الوجه ظاهر الدم حتى إلى قبيل وفاته، يعني يراه الناظر فيظنه شبابًا، حسن الشيبة، كان يتزوج بأربع زوجات، وتزوج بأربع زوجات، ولا يخلو مع ذلك من جارية أو جاريتين يتسرى بهما.
وكان يأكل أطيب الطعام ، فكان لا يأكل إلا البر الصافي، ويأمر فيؤتى له بالديوك فَتُسَّمن ويأكل كل يوم ديك .
وكان يلبس الثياب الخضر ، ويحب البرود الخضر، ويقول هذا عوض النظر في الخضرة ، العلماء كانوا يعتقدون ، ولعله صحيح أن النظر في الخضرة يقوي البصر، فمن لم يجد الخضرة يلبس الثياب الخضر كما كان يفعل النسائي، قال: هو عوض النظر إلى الخضرة . حتى يقوي البصر، والبصر بالنسبة لأهل العلم هو أنفس من الروح ؛ لأنه إذا فقد البصر لم يستطع أن يقرأ ولم يستطع أن يكتب ، لم يستطع أن يؤلف ، فحاجته للبصر حاجة ماسة أكثر من غيره.

وفاته :

خرج من مصر سنة ثلاثة وثلاثمائة للحج، فمر بدمشق فسئل أن يحدث بفضائل معاوية بن أبي سفيان ، وتعرفون أن دمشق كان يكثر بها في ذلك العصر الناصبة وهم الذين ناصبوا علي بن أبي طالب وآله العداء، كانوا يبغضون علي بن أبي طالب وأهل بيته، يعني عكس الشيعة، الجهة المعارضة للشيعة، وأهل السنة والجماعة بين الطرفين الوسط، لا يغلون في علي بن أبي طلب ولا يبغضونه، بل هم الوسط؛ يحبونه ويعرفون فضله وفضل أهل بيته ولكن لا يقدمونه على أبي بكر ولا يصفونه بفضائل ليست ثابتة له في الكتاب والسنة أو في السنة .
فسئل أن يحدث بفضائل معاوية بن أبي سفيان فأمسك عن ذلك ،لم يحدث ؛ لأنه لم يكن يرى أن هناك حديثًا صحيحًا في فضل معاوية بن أبي سفيان ، ما كان يرى أن هناك حديث صحيح يثبت في فضل معاوية بن أبي سفيان ، وقد وافقه على ذلك جماعة من العلماء ، ولعله أخذ هذا الأمر من شيخه إسحاق بن راهويه ، فإن له عبارة مشهورة ، فإنه كان يقول : لا يصح في فضل معاوية بن أبي سفيان حديث، إسحاق بن راهويه .
فهو مسبوق إلى هذا الحكم على كل حال من أئمة سواه ، فقام عليه من بالمسجد وضربوه واجتمعوا على ضربه حتى خرج من المسجد عليلًا فتوفي مقتولًا عليه رحمة الله من أثر هذا الضرب ، قيل بمكة

وأنه دُفن بين الصفا والمروة ، والذي رجحه الذهبي أنه تُوفي بفلسطين بالرملة في شهر صفر ، وقيل في شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة من الهجرة.
وهذه القصة هي التي احتج بها من احتج على أن الإمام النسائي فيه تشيع، ولكن هذا القول ليس بصحيح فقد سئل الإمام النسائي لمَّا صنف كتابًا خاصًا في فضائل علي بن أبي طالب سماه خصائص علي بن أبي طالب فسئل لِمَ صنف هذا الكتاب ؟
قال : إنه عندما صنفه كان بدمشق ، وقال : إن أغلب أهل دمشق كانوا من الناصبة ، فأراد أن يصنف هذا الكتاب حتى يردهم إلى الحق ، يبين لهم فضائل علي بن أبي طالب حتى الثابتة له حتى يردهم إلى الحق ، فتصنيفه لخصائص علي بن أبي طالب لا يدل على تشيعه بل يدل على أنه أراد أن يرد هؤلاء القوم إلى الحق ، وقد سئل النسائي عن معاوية بن أبي سفيان خاصة ، فقال: إنما الإسلام كدار لها باب فباب الإسلام الصحابة ، يعني من أراد أن يقتحم حرمة الإسلام فليس له طريق إلى اقتحام حرمة الإسلام إلا باب الصحابة ، فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام، من تكلم عن الصحابة فإنه في الحقيقة يريد هدم هذا الدين ؛ لأن الصحابة هم الذين نقلوا لنا هذا الدين، فمن نقر الباب إنما يريد دخول الدار، ثم يقول: معاوية فمن أراد معاوية فإنما أراد الصحابة .
هذا كلام يستحيل أن يخرج من رجل فيه تشيع ، بل هو كلام أهل السنة والجماعة ويدل على أن الإمام النسائي كان يُجِلُّ معاوية بن أبي سفيان ويترضى عنه ، ويعتبره في جملة الصحابة وقولنا الآنفة أو قول النسائي : إنه لا يصح في فضل معاوية حديث لا يعني أنه ليس لمعاوية فضل، معاوية بن أبي سفيان يكفيه شرفًا أنه من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، يكفيه شرفًا أنه من كتاب الوحي بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام، هذه كلها أمور تدل على كمال شرفه وفضله، وأنه بلغ الرتبة العليا من الشرف والكمال واستحق اعتقاد العدالة واستحق الترضي عنه مثل بقية الصحابة رضوان الله عليهم، أما أن هناك حديث خاص في فضل معاوية ، فهذا مما وقع فيه خلاف كما قلنا آنفًا، ويرجح النسائي أنه ليس هناك حديث يدل على فضله .
هذه أهم ملامح حياة هذا الإمام عليه رحمة الله.

تعرفون أن الكتابين اللذين سوف نتكلم عنهما هما كتابا " **السنن الصغرى** " و " **السنن الكبرى** " للإمام النسائي .
نقول: إن الكتابين اللذين نتكلم عنهما هما كتابا السنن الكبرى والسنن الصغرى للنسائي.
وقد اختلف في هذين الكتابين أو في علاقة هذين الكتابين ببعضهما، وبيان الراجح في ذلك مهم جدًا قبل الدخول في منهج هذين الكتابين؛ لأنه قد وقع خلاف بين أهل العلم في السنن الصغرى وهل هي اختصار من السنن الكبرى، ومن هو الذي اختصرها؟ هل اختصرها النسائي نفسه؟ أو اختصر السنن الصغرى أحد تلامذة النسائي وهو ابن السني أو لا؟
فذهب جماعة من أهل العلم ومنهم الإمام الذهبي وابن نصر الدين الدمشقي إلى أن النسائي إنما صنف السنن الكبرى ، أما السنن الصغرى المشهورة المتداولة فهي اختصار تلميذ النسائي وهو ابن السني ، اختصر ابن السني السنن الصغرى من السنن الكبرى، فالمؤلف الحقيقي للسنن الصغرى على هذا القول يكون من هو؟ ابن السني ، اختصر السنن الصغرى من الكبرى .
وذهب آخرون من أهل العلم، ومنهم أبو علي الغساني ، وابن الأثير وأيضًا ابن كثير ، والعراقي والسخاوي في آخر قوليه في هذه المسألة إلى أن السنن الصغرى والسنن الكبرى كلاهما من تصنيف النسائي، وأن ابن السني ليس إلا راويًا من رواة السنن الصغرى ، وليس له أي تدخل في هذه الرواية لم يقم باختصار السنن الكبرى، إنما الذي اختصرها إلى السنن الصغرى وألف هذا الكتاب هو النسائي نفسه، فالنسائي ألف الكبرى ، ثم صنف بعد ذلك الصغرى .
والصواب هو القول الثاني : وهو أن السنن الصغرى نمن تصنيف النسائي، والذي يقطع بذلك يقطع بأن السنن الصغرى من تصنيف النسائي وليس من تصنيف ابن السني أننا نجد في السنن الصغرى أحاديث وأبواب وكلامًا على الرجال غير موجود في السنن الكبرى ، نجد أحاديث وأبوابًا وكلامًا على الرجال غير موجود في السنن الكبرى ، فلو كانت السنن الصغرى اختصارًا من السنن الكبرى لما وجدنا في السنن الصغرى زوائد من أحاديث أو كلام على الرجال، بل لو كانت السنن الصغرى مختصرة من السنن الكبرى فقط، وأنها من عمل ابن السني ، لكان يلزم من أننا نجد إذا وجدنا حديثًا في الصغرى يلزم أن نجده في الكبرى، وليس العكس ؛ لأنه اختصار، إلا أن الواقع ليس كذلك، فهناك أحاديث كما ذكرنا وكلام في

الأبواب هي موجودة في الصغرى وغير موجودة في الكبرى، بل هناك كتابين موجودين في السنن الصغرى غير موجودين في السنن الكبرى، وهما " كتاب الإيمان وشرائعه" و " كتاب الصلح " كتابين بأكملهما هما موجودان في الصغرى غير موجودين في الكبرى مما يدل على أن مصنف الصغرى هو نفسه مصنف الكبرى، وليست الصغرى اختصارًا من أحد تلامذته عن الكبرى .

أيضًا وهناك دليل آخر يدل على أن الصغرى ليست من تصحيح ابن السني ، وهو أنه قد روى الصغرى عن النسائي أكثر من راوي غير ابن السني ، فقد روى الصغرى السنن الصغرى عن النسائي ابن النسائي عبد الكريم وغيره ، وذكر هذا ابن خير الإشبيلي في فهرسته مما يدل على أن الصغرى تصنيف النسائي، فلو كانت الصغرى تصنيف ابن السني لما تعدد رواتها عن النسائي، ولكن يتعدد رواتها عن ابن السني لو كانت تصنيف ابن السني ، لكن لمَّا كانت من تصنيف النسائي تعدد الرواة عن النسائي لهذا الكتاب السنن الصغرى ، مما يدل أيضًا على أن السنن الصغرى من تصنيف النسائي لا من تصنيف ابن السني .

بل هناك موطن صريح جدًا في السنن الصغرى يدل على أنها من تصنيف النسائي لا من تصنيف ابن السني ، ففي السنن الصغرى جاءت هذه العبارة :

ما جاء في كتاب القصاص من المجتبى مما ليس في السنن تأويل قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا ﴾ [النساء : 93] ثم أورد أحاديث كثيرة.

وردت هذه العبارة في السنن الصغرى رواية ابن السني عن النسائي [2]

يقول فيها: ما جاء في كتاب القصاص من المجتبى مما ليس في السنن.

ينص أن ابن السني أن هذا الكلام موجود في الصغرى وغير موجود في الكبرى.

فلو كان ابن السني هو المختصر من أين يأتي بهذه الروايات التي للنسائي؟

---

[2] انظر السنن الصغرى (2 / 62) .

لكن هنا يُطْرَح سؤال: إذًا ما هو سبب اعتقاد الذهبي بأن السنن الصغرى من رواية ابن السني ، ورد الرواية التي جاءت في ذكر تصنيف النسائي للسنن الصغرى والآتي ذكرها إن شاء الله؟
السبب في ذلك : فيما يظهر أن الإمام النسائي لم يطلع أصلًا على السنن الكبرى، هو نص على ذلك بنفسه؛ حيث قال: الذي وقع لنا السنن الصغرى المسمى بـ(المجتنى).
أقول: الذي يدل على أن الإمام الذهبي يعني السبب في قول الإمام الذهبي في أن السنن الصغرى من انتخاب ابن السني أنه قال: بأن الكتاب الذي وقع له من كتب النسائي هو كتاب السنن الصغرى ، وأنه لم ير ، ولم يطلع على كتاب السنن الكبرى، ولو اطلع على السنن الكبرى ، وقام بالموازنة التي أخبرناكم ببعضها بأن هناك أحاديث في السنن الصغرى غير موجودة في الكبرى لتبين للإمام الذهبي أن السنن الصغرى ليست من تصنيف ابن السني ، وعبارته الآنفة الذكر موجودة في ترجمة النسائي في سير أعلام النبلاء .
إذًا: السنن الصغرى هي من تصنيف الإمام النسائي نفسه.
حتى نعرف الفروق الكبرى بين الكتابين وهو أمر مهم، بين كتاب السنن الصغرى والكبرى؛ لأن هذا سوف يساعدنا فيما بعد، في معرفة شرط كل كتاب منهما، ومنهج كل كتاب منهما :
نذكر أهم ثلاثة شروط أو أهم ثلاثة فروق بين الكتابين:
الفرق الأول : الظاهر من مسمى الكتابين أن السنن الكبرى أوسع وأكبر وأكثر أحاديث وأبواب من السنن الصغرى، هذه هي الصفة الأولى البارزة للغاية، أن السنن الكبرى أكثر وأكبر من السنن الصغرى، ويظهر ذلك في أمور متعددة منها:أن عدد الكتب في الصغرى كما في المطبوعة واحد وخمسين كتاب، وكما في تحفة الأشراف أربعة وثلاثين كتاب، بينما عدد الكتب في الكبرى يزيد في المطبوعة اثنين وعشرين كتابًا على الصغرى؛ حيث بلغ عدد الكتب في الكبرى ثلاثة وسبعين كتابًا، وفي ترقيم تحفة الأشراف تزيد الكبرى على الصغرى تسعة وعشرين كتابًا حيث إن عدد الكبرى في تحفة الأشراف ثلاثة وستين كتابًا، طبعًا الفرق في ترقيم الكتب والأبواب راجع لاختلاف أول شيء الطبعة عن النسخة التي كانت معتمدة عند الإمام المزي وأيضًا إضافة إلى الأخطاء المطبعية.
على كل حال يظهر من هذا أن هناك فرقًا كبيرًا بين السنن الصغرى الكبرى في عدد الكتب .

وعدد الأحاديث في الصغرى يبلغ في المطبوعة إحدى وستين وسبعمائة وخمسة آلاف حديثًا، خمسة آلاف وسبعمائة وواحد وستين ، بينما بلغ في الكبرى أحد عشر ألف وسبعمائة وسبعين، إلا أن عدد أحاديث السنن الكبرى ليس دقيقًا ؛ لأن الطابعين للسنن الكبرى أدخلوا فيها كتب وأحاديث من الصغرى، فلا نستطيع أن نجزم أن هذا هو عدد أحاديث الكبرى، لكن بالتقريب لا شك أن عدد الكبرى أكثر بكثير ، ويدل على ذلك أن بعض الكتب التي وجدت في الكبرى أو هي موجودة في الكبرى وساقطة من الصغرى ، أو غير في الصغرى بعضها يضم مئات الأحاديث بل بعضها يزيد على ألف حديث، فمثلًا كتاب التفسير للنسائي وهو موجود في الكبرى وغير موجود في الصغرى التفسير عدد أحاديث ستة وستين وسبعمائة حديث كتاب واحد من الكتب الموجودة في الكبرى والتي هي غير موجودة في الصغرى يضم ستة وستين وسبعمائة حديث، وكتاب عمل اليوم والليلة للنسائي وهو موجود أيضًا في الكبرى غير موجود في الصغرى يضم ألف ومائة وواحد وأربعين حديث .

هذان كتابان فقط من الكتب الموجودة في الكبرى غير موجودة في الصغرى .

الفرق الثاني : أن السنن الكبرى ليس في نقاوة السنن الصغرى من جهة الأحاديث صحة وضعفًا ، أن السنن الكبرى ليس في نقاء السنن الصغرى من جهة الأحاديث صحة وضعفًا، وقد ذكر النسائي نفسه هذا الفرق عندما قال: كتاب السنن – يعني الكبرى - كله صحيح وبعضه معلول، السنن الكبرى، يقول: كله صحيح وبعضه معلول إلا أنه يبين علته، والمنتخب المسمى بالمجتبى صحيح كله ، هذا كلام النسائي .

ويستفاد من هذا الكلام أن السنن الصغرى أصح حديثًا وأقل حديث معلولًا من الكبرى، هذا كلام النسائي نفسه في بيان الفرق بين الكتابين إلا أني أنبه إلى أن عبارة النسائي السابقة لا تعني أن كل ما في السنن الصغرى صحيح ، ويأتي الكلام عن هذا إن شاء الله، كما أنه لا يعني أن كل ما حذف من الكبرى مما لم يدخله في الصغرى أن سبب الحذف وجود علة !! انتبهوا لهذا : إذا وقفت على حديث في السنن الكبرى ولم تجده في السنن الصغرى لا يعني ذلك أن عدم ذكره في الصغرى يدل على أنه معلول عند النسائي ، بل ربما يكون معلولًا وربما يكون صحيحًا ، وقد ذكرنا آنفًا أنه اسقط كتب بكاملها ككتاب التفسير للنسائي وهو مليء بالأحاديث الصحيحة ، وكتاب

عمل اليوم والليلة الذي ذكره في الكبرى ولم يذكره في الصغرى وهو مليء أيضًا بالأحاديث الصحيحة، فعدم ذكر حديث في الكبرى لا يدل على أنه معلول وأن سبب عدم ذكره في الصغرى هو العلة التي فيه.

الفرق الثالث: أن كتاب السنن الكبرى لم يقتصر على أحاديث الأحكام والتبويب لها ففيه كتاب التفسير والسير وفضائل الصحابة وفضائل القرآن، وغير ذلك مما يدخل تحت ما يسمى بالجوامع ، جوامع كتب العلم .

أما السنن الصغرى: فهو مختص على أحاديث الأحكام ، هو مقتصر على أحاديث الأحكام ، فالسنن الكبرى ما أشبهه بكتب الجوامع التي هي كما تعرفون الكتب التي اشتملت على غالب أبواب العلم سواءً منها المتعلق بأحاديث الأحكام والمتعلق بما سوى ذلك من التفسير ، ومن أشراط الساعة ، ومن الزهد والرقائق ، ومن السيرة والمغازي وما شابه ذلك ، فالسنن الكبرى شاملة لجميع أبواب العلم، أما الصغرى فمقتصرة على أحاديث الأحكام .

هذه أهم ثلاثة شروط جلية وواضحة بين الكتابين وبين المنصنفين اللذين صنفهما الإمام النسائي نفسه.

الأسئلة

س. ما رأيك بأخذ سند أو إجازة عن الشيخ الذي يدرس لي كثيرًا من العلوم حيث إني رأيت كثيرًا من الشباب ينتقدني في ذلك حيث يقولون إن الكتب التي تأخذ عنها سندًا كلها مطبوعة ومعروفة فهل في هذا السند فائدة لأنهم يقولون ليس فيها فائدة، وجزاكم الله خيرًا ؟

أخذ الأسانيد على كتب السنة لا شك أنه مفيد لا يخلو من فائدة، والحرص عليه أيضًا مهم لأن هذه الأمة تميزت بالإسناد، وبأنها الأمة الوحيدة التي لديها إسناد من هذا الزمن إلى نبيها إسناد متصل بالأحاديث، فيجب على طلبة العلم أو ينبغي على طلبة العلم أن يحرصوا على أن يكون عندهم أسانيد لكتب السنة هذا أمر حسن، وحلية يتحلى بها طالب العلم، لكن ليست هي العلم كله، بل هي حلية كما قلت، وزينة للعلم، العلم الحقيقي ليس تلقي لكتب السنة بالأسانيد، وكم من رجل يروي كتب السنة بأسانيد لا يعرف من علم السنة شيئًا ، وكم من رجل ليس عنده من هذه الأسانيد شيء وعنده من علم السنة شيء كثير، فالأسانيد حلية وزينة طيبة، لا يُنتقد

على من تحلى بها، وأيضًا يجب ألا يقتصر طالب العلم عليها، ويعرف أنها زينة يتزين بها لكن العلم شيء آخر .

س.إذا روى التابعي عن صحابي قد مات قبل وفاة النبي ماذا يسمى في علم الحديث مثل هذا النوع، هل تقبل رواية مثل هذا أم هي من قبيل ....؟

يقول: إذا روى تابعي عن صحابي، وهذا الصحابي توفي قبل وفاة النبي عليه الصلاة والسلام:

أولًا: لا يلزم من أن يكون التابعي لم يدرك أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام الذين توفوا قبل وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ، يحتمل أن يكون هناك صحابي هاجر إلى اليمن فلقيه أهل اليمن، ولم يلقه النبي عليه الصلاة والسلام، انتبهتم لهذا ، أنه ليس كل من كان في زمن النبي رآه، هناك أناس كانوا في زمن النبي عليه الصلاة والسلام أحياء ورجال، لكنهم ما لقوا النبي عليه الصلاة والسلام، فإذًا : محط النظر هو هل سمع من هذا الصحابي أو لا ، سواء توفي قبل النبي عليه الصلاة والسلام أو بعد النبي عليه الصلاة والسلام، فإذا لم يسمع منه فالحديث منقطع أو مرسل يسمى على اصطلاح المحدثين، وإذا سمع منه ولم يكن مدلسًا وروى عنه بالعنعنة أو روى عنه بصيغة السماع فالحديث متصل.

والحمد لله رب العالمين .

س.يقول : لماذا يهتم العلماء بكون الإمام شيعيًا أم لا، وهل كونه شيعيًا ينقص من قدره؟

نعم ينقص من قدره ، إذا كان شيعيًا محضًا ينقص من قدره أيما نقص ، وذكر ذلك حتى ننزل الناس منازلهم، أليس الإمام السني خير من الإمام الذي فيه تشيع ، خير ولا شك، ثم أنتم تعرفون أن رواية أهل البدع فيها خلاف ، هل تقبل أو ما تقبل ؟

هذه إذا كانت البدعة مغلظة يعني ، فذكر ذلك أمر مهم في تراجم أهل العلم.

س.ما صحة الحديث : من صلى قبل العصر أربع ركعات رحمه الله بمعنى ذلك؟

الحديث صححه الألباني والله أعلم .

س.يقول: ما هو المنهج المتبع لفهم مصطلح الحديث، وهل تؤيد طلاب العلم في قراءة الكتب المعروفة في مصطلح الحديث مثل البيقونية وتحفة ...؟
أما أني أؤيد كتب مثل نزهة النظر وكتب المصطلح المشهورة فأنا أؤيد ذلك، بل لا طريق إلى علم المصطلح إلا بقراءتها أصلًا، أما المنهج فهو موجود في المنهج ، مبينًا في المنهج .
المنهج المعروف.
س.ما صحة حديث: ((ملعون من سأل بالله، ملعون من لم يجب))؟
الحديث صحيح.
س.ما صحة الحديث: ((من صلى الفجر في جماعة فبقي في مصلاه حتى طلوع الشمس، فصلى ركعتين كتب له أجر حجة وعمرة)) ؟ .
ما أدري .
س.يقول: ما رأيك فيمن يجعل قتادة والأعمش وأبـي إسـحاق وأبـي الزبير من المدلسين الذين لابد أن يصرحوا بالتحديث؟
الصواب في هؤلاء : أنه لا يشترط منهم التصريح بالتحديث، قتادة والأعمش وأبي إسحاق وأبي الزبير أنه لا يشترط فيهم أن يصرحوا بالسماع ، ولكل واحد منهم سبب لذلك، وليس معنى ذلك أن كل المدلسين لا يشترط منهم التصريح بالسماع، انتبه، لكن هؤلاء الرواة بالذات لا يشترط منهم التصريح بالسماع بل هم مقبولون مطلقًا ، ولكل واحد منهم سبب خاص.

س.لماذا لم تذكر كتاب " عِشرة النساء " للنسائي؟
لأنه من ضمن كتاب السنن الكبرى، وذكرت أيضًا كتب ضمن السنن الكبرى، لكن لأن بعض العلماء اعتبرها خارج السنن الكبرى، فما اعتبره بعض العلماء من الكتب التي خارجة عن السنن الكبرى ذكرته منفردًا.
س.ما الفرق بين قولنا: في لفظ ، وقولنا: في رواية؟
الفرق، قريبة من بعضها.
س.يُقال: إن شرط النسائي في الرجال أقوى من شرط البخاري؟
يأتي هذا ، يأتي الكلام عليه لا تتعجلوا.
س.مقولة النسائي هذه: إثبات صريح بأن الصغرى من تأليف النسائي ليست من إدخال ابن السني أعني: إن الصغرى أصح من الكبرى، فأرجو أن نرجع لهذه العبارة وجزاكم الله خيرًا حتى نستفيد منها دليلًا على ذلك؟

نقل هذه العبارة الإمام السخاوي في كتابه " بغية الراغب المتمني " وغيره.

س.لماذا لم يجمع النسائي السنن الصغرى في كتاب السنن الكبرى؟

يأتي أيضًا الإجابة عن سبب تصنيف النسائي للسنن الصغرى في درس الغد إن مد الله عز وجل في العمر وشاء.

س.إذا لم نعرف حال المخضرم الذي كان في زمن النبي ولم بره، فهل نعده مجهول أو نتوقف في حديثه؟

إذا لم يرو حديثًا منكرًا فحديثه صحيح.

ما رأيكم في كتابِ " بغية الراغب المتمني " ؟

لقد ذكرت أنه من أَجَل الكتب التي تتكلم عن منهج النسائي.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، والله أعلم.